من أدب القصص الأمريكي

هدية عيد الميلاد..

للكاتب الأمريكي برت هارت

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسي

عيد الميلاد فى « كلفورنيا » من أروع فصول السنة ... فهو الفصل الذى تنحدر فيه المياه من جو السماء إلى أديم الأرض ، فإذا به يهتز وربو ويفيق من غفوة الشتاء ، وإذا الأرض مجلوة مزهوة بما انبسط عليها من زهور الربيع وأقاحيه ...

وكانت الشمس تسرب شعاعها خلال السحب المنعقدة — التى تتهادى أمام موكب الريح — فيلتى الروابى فى روعة وجلال فإذا مظاهر الحياة قد تجمعت : الموت والحياة ، والفناء والبعث ، والألم والبهجة ... نعم ... فالروابى التى كان يطويها مطرف الموت والفناء قد ازدهت ... ومرت نسمة الحياة تراودها ، فإذا البعث والنشور يدب فى أكنافها ، وإذا البهجة والحبور تجول فى أطرافها ... وإذا الريح التى كانت تنوح فى ثورتها تداعب براعم الأزهار وقد استقرت مكان الأوراق الذابلة الذاوية ...

ربما كان هذا كله علة هذا الرونق الذى أحله عيد الميلاد فى حجرة الاستقبال ... والذى أكسب الحضور منظراً خلاباً فريداً وأكسب الأزاهر فتنة وجمالا ...

قال الطبيب وهو يدنو بكرسيه من النار : « والآن : . » ثم قلب طرفه فى لطف ودماثة ولكن فى حزم وثبات بين الوجوه الملتفة حوله ... وقال :

— أود قبيل أن أمضى فى قصتى ... أن أحذركم من مقاطعتى بتلك الأسئلة الساذجة المضحكة ... فعلى كل غلام منكم ألا يعبث برجله أو بذراعه ... وإلا فسيكون جزاؤه الطرد والحرمان ... أفتعدوننى بذلك ؟ ! »

فأجابته الجماعة فى صوت واحد فيه غضاضة الطفولة ورنة الصبية — « أجل ... ياسيدنا ! »

فعاد الطبيب يقول فى صوته الرقيق الحازم :

— « إذن عليكم بالسكون ... « بوب » ... دع رجلك ، وارغب عن سليل هذا السيف الصغير ... وستجلس « فلورا » جوارى كالسيدة الصغيرة ، وتكون فى هدوئها وإصاختها السمع مثلا يحتذيه باقى الجماعة ... « تاتج » اجلس كما يحلو لهواك وبغيتك ، ولكن فى هدوء وإصغاء ... والآن . أديروا صنبور الناز قليلا لكى تستعر النار وتتوهج ... وينبغى على كل صبى أن

فيستلبه تمثال الأميرة إعجابه ، ثم لا يلبث أن يهوى هذا التمثال ويعشق صاحبته عشقاً مبرحاً ، وإذ ذاك يُفَكُّ عن المدينة نطاق السحر الذى ضرب حولها ، فما يشفى داء الحب سوى الحب ، ومايبرىء المريض من كلَبه سوى مصل الكلب . فتدب الحياة ثانية إلى المدينة ، ولكن عوامل البلى التى أوقفها السحر ألف عام ، سرعان ما تعمل فى جسوم قطان المدينة بعد ما ردوا إلى الحياة ، فتتحلل أجسادهم تراباً مذورا .

أما الأميرة ، فقد عجزت عوامل البلى عن إصابتها لأنها كانت تحب ! وما حيلة الزمان أمام قلب يحب ؟ !

ذلك إيجاز القصة المسحورة التى كتبها الأستاذ سيد قطب .

وما كنت أحسب أن الصديق سيداً يعرف عن الحب كل هذا ، بل ما كنت لأتخيله يستطيع أن يصور تلك العاطفة النبيلة فى هذه الصورة الرائعة الأخاذة .

ويحق للقصاص أن يغتبطوا لأن ملقن شهر زاد — أعنى الأستاذ قطب — أبدى فى كتابة هذه القصة ميلا فطرياً إلى مراس هذا اللون من الأدب ، بل التمهر فيه . فالأسلوب له مطواع ، والصورة فى مخيلته مجلوّة ، والتفكير متجه اتجاهاً صائباً والحبكة الروائية فى مقدوره . فلا عجب إذن إذا أصاب الأستاذ سيد قطب من التوفيق قدراً كبيراً ، وإذا كانت كفته من النجاح راجحة .

وديع فلسطين

يجنح إلى الصمت ... ومن يسبب أدنى ضوضاء ، فلن يبقى بين جدران هذه الغرفة ... »

وسادت إثر ذلك آونة من الصمت العميق ... فأسند «بوب» سيفه إلى جانبه ... وداعبت « فلورا » دميتها قليلا ، ثم أرقدتها وجلست جوار الطبيب ... أما « فنج تانج » — ذلك الطفل الوثني الصغير الذي أتيح له أن يحضر مباهج « عيد الميلاد » — فقد ارتسمت على ثغره ابتسامة عذبة فيها حلاوة وفيها براءة .

وكانت الدقات التي تنبعث من الساعة الفرنسية المستقرة فوق المدفأة ... تمكر صفو ذلك الهدوء الذي خلعته روعة «عيد الميلاد» على حجرة الجلوس حيث تناثرت اللعب ، والعلب المصنوعة من خشب الأرز الطيب الرائحة ... والأزهار الفياحة عطراً ...

* * *

بدأ الطبيب يسرد قصته قائلا :

« منذ أربع سنوات — في مثل هذا الوقت — حضرت حفلة « عيد الميلاد » في منزل صديق من أصدقائي المدرسين ... وشملني شيء من المرح ، إذ سيتاح لي أن أرى إبناً من أبنائه على الرغم من أنه في الثانية عشرة من عمره إلا أنه كان على مبلغ وافر من العبقرية والنبوغ ... فقد حفظ من قصائد الشعر اللاتيني والإنجليزي مالا أستطيع له حصراً ...

كما كان في مقدوره أن يؤلف قصائد وأشعاراً رقيقة لها روعتها ولها جمالها ...

وليس بمقدوري أن أحكم على أشعاره ، فما أنا ممن أوتوا القدرة على النقد ، ولكن ثمت بعض النقاد أعجبوا بما أوتي من الموهبة الفائقة على نظم الشعر في مثل سنه المبكرة . وتنبأوا له بمستقبل زاهر في ساحة الشعر والأدب ... بيد أن والده كان على الضد من ذلك : رجل حقائق وعمل لا رجل خيال وأدب ...

كانت الحفلة مبهجة مرحة ... وكان الأطفال قد تجمعوا من كل صوب ومكان ... ووقف معهم ذلك الغلام — وهو في طوله مثل « بوبي » ... وفي أدبه وخلقه مثل « فلورا » التي بجواري ... كان الجميع يدعونه « روبرت » ... أما صحته فكانت معتلة ضعيفة واهنة ... وطالما شكا إليّ أبوه من قلة لعبه مع من هم في سنه من الصبية وتفضيله اللبث في البيت مغموراً بين الكتب والأوراق يطالع ويكتب ...

وكان ثم « شجرة لعيد الميلاد » كشجرتنا هذه ... وكثيراً ماضحكنا في عبث ولهو مع الأطفال الذين راحوا يتسلمون هداياهم المعلقة في الشجرة ... وشملنا جميعاً جو من المرح والصفو ...

وبغتة ندت عن غلام صيحة فيها مزيج من العجب والطرب وقال : « هاك !! شيء لروبرت ! فماذا أنتم قائلون ؟! »

فراح يخمن كل منا :

— « قلم من الذهب . »

— « كتاب للمشاعر ملتون ... »

— « قاموس للقوافي ... »

بيد أن الغلام قال على دهش منا :

— « ليس شيء من ذلك إنما هو ! . طبل . »

— « ماذا ؟!! »

— « طبل ... وعليه اسم روبرت » !.

فارتفعت صيحات الضحك من أفواهنا ... فقد كانت دعابة حقاً ... وقال أحدنا : « هه ... أرى أنك ستحدث في العالم دوياً هائلا ياروبرت !.» وقال آخر « ما هذا الطبل إلا لوزن الشعر ! » وثرت الأقوال وتعددت فيها دعابة وفيها عبث ... بيد أن روبرت أبى أن ينبس بكلمة ... وشحب لون وجهه ... وأطلق صيحة فيها حقد واضطراب ، وبرح الغرفة ... فأحس هؤلاء الساخرون شيئاً من التألم والتأنيب ... وانهالت الأسئلة فيمن أتى بهذا الطبل ... ولكن دون جدوى ... ولم يعد «روبرت» إلى الغرفة ثانية تلك الليلة ...

* * *

وضرب النسيان ستارة على هذه الحادثة فقد اشتعلت حرب العصيان الأهلية في الربيع التالي ... وعينت في أحد الفيالق .

وفي طريقي إلى ساحة القتال مررت بالأستاذ المدرس ... فكان أول سؤال — ابتدره به لساني — عن « روبرت » ... فهز الأستاذ رأسه في حزن وألم ! وقال :

— « ليس على ما يرام ! فقد أصيب بانحراف ظل ملازمه

منذ عيد الميلاد حينما رأيته ... حالة غاية فى الغرابة ... ولكن اذهب فانظره لعلك تستطيع أن تزيل عنه ما يعتريه ! »

فذهبت من فورى إلى منزل الأستاذ حيث وجدت روبرت مضجعاً فى مقعد طويل ... وقد تناثرت ثم حوله كتبه وأوراقه وعلق الطبل فوق رأسه ... وكان وجهه شاحباً ذابلا ... ولكن عينيه كانتا فى بريق ولمعان ...

ابتهج وسر حينما رآنى ... ولما علم بوجهتى ... طفق يسألنى كثيراً عن الحرب ... وظننت أنى بحديثى إليه قد سليته عن مرضه ، غير أنه فجأة أمسك بيدى وقربنى إليه قائلا فى صوت خفيض كالنبأة تسرى فى الفضاء .

— « سيدى الطبيب ... أرجو ألا تسخر منى حينما أخبرك ببعض الأشياء ! إنك لتذكر ذلك الطبل ... » وأشار إلى الطبل المعلق فى الحائط فوق رأسه ... « وتعلم كيف أتى إلى من حيث لا أدرى ولا تدرون ... فبعد بضعة أسابيع من عيد الميلاد وكان الطبل معلقاً هكذا فوق رأسى ... وكانت عيناى بين النعاس واليقظة ... إذ يطرق أذنى صوت قرعات خافتة تنبعث من الطبل ثم إذا بها تعلو وترتفع ... ثم توالت وتتابعت سريعاً ، ودوّى صوتها جليلا رهيباً ... حتى لكأنها ملأت البيت ضجة ودوياً . طرقت أذنى ثانية عند ما وافى الليل نصفه ولم أجرؤ على أن أنبىء أحداً بخبرها ... ولكنى كنت أسمعها كل ليلة إثر ذلك ...

وانقطع صوته برهة ... ولكنه لم يلبث أن عاد يقول فى قلق واضطراب «أحياناً تكون القرعات خافتة هينة ... وأحياناً تكون مرتفعة مدوّية ... ولكنها ظلت سريعة متتابعة حتى كنت أخشى أن يسمعها أحد من أهل البيت فيسألنى فلا أجد له جوابا ...

بيد أنى أعتقد يا سيدى الطبيب ، ونظر إلىّ نظرة فيها ألم وفيها قلق « أعتقد ... أن أحداً لم يسمعها سواى ... إنها تأتينى من هذا الطبل مرتين فى اليوم ... عند ما أكون غارقا فى القراءة أو الكتابة ... أسمعها ... فكأنها غاضبة حانقة فى قرعها ... وتعمل على أن تستلب عقلى من بين كتبى ... » .

وكانت عيناه تلمعان وتتألقان ، وصدره بين ارتفاع وانخفاض ، فحاولت أن أخبره أن هذا ليس إلا ضعفاً وإنهاكا عقلياً وجسمانياً أدى إلى اضطراب فى الحواس ، كما يحدث لكثير من الناس . فأنصت إلى ما أقول ، وعلى ثغره ابتسامة حزينة كأنه لا يعتقد ما أقول ، ولكنه شكرنى ، ثم لم ألبث أن ودعته ورحلت ، وقابلت الأستاذ فى طريقى ، فأوضحت له رأيى عن حالة ولده فقال :

— إذن فهو يحتاج لهواء منعش ، وجو رائق ، ورياضة جميلة !

ولم يكن الأستاذ بالرجل السيء البغيض ، ولكن كان كثير الألم والإشفاق لما يعترى ولده .

وغادرت المدينة فى نفس ذلك اليوم ، وكاد داعى النسيان أن يأتى على هذه الذكرى فيطويها ويمحوها ، فقد انهمكت فى تمريض للجرحى ، ومعالجتهم فى مستشفيات القتال ... لولا أن قدر لى أن ألقى رجلا عسكرياً ، كان على صلة صداقة بالأستاذ فأخبرنى أن «روبرت» أصيب بلوثة وخبال فى عقله ، وفى إحدى النوبات التى كانت كثيراً ما تعتريه ، فر من المنزل ، ولم يعثر له على أثر ، وكان الخوف من أن يكون النهر قد طواه فى أعماقه .

فاهتزت نفسى فى فرق وروع لهذه الفاجعة ، ولكن لم يقيض لى الله وقتاً أجلس فيه حزينا لما أصاب «روبرت» الصغير

ومضت الأيام بعد هذا النبأ ، وإذ بفيلق من جيشنا قد أتى عليه الثوار ، وفتكوا به فى وحشية وجنون

فنقلت من ساحتى إلى مستشفى هذا الفيلق لأعاون زملائى الأطباء فى معالجة حياة هؤلاء المنكوبين والصرعى

وعثرت برجل طويل القامة عملّس بتع ، كان مثخناً بالجراح فى فخذيه ، ولكن رجانى أن أدعه وأنصرف إلى زملائه الذين هم أحوج منه بالعناية والرعاية ، بيد أنى لم أكترث لرجائه فى بادئ الأمر ، لأن هذه الرحمة وإنكار الذات سائدة شائعة بين رجال الجيش جميعاً ، ولكنه ما لبث أن عاد يقول : « بالله أيها الطبيب دعنى ، فثمت غلام كان يقرع الطبل ، غلام باسل جسور ، يجود بأنفاسه الآن ، فاذهب إليه وانظره لعلك مستطيع له علاجاً ، لقد أنقذ هذا الغلام ببسالته وجسارته كثيراً من رجالنا ، لقد أنقذ شرف فيلقنا بما أتاه من جليل الأعمال هذا الصباح فأنقذه بالله أيها الطبيب ! »

أثرت فى نفسى روح هذا الرجل وسجيته أكثر من منظر هؤلاء الجرحى وهم مبعثرون فى كل مكان يئنون ويصيحون فى حشرجة وزحير مما بهم من ألم وعذاب . فمضيت بينهم إلى حيث كان ذلك الغلام — قارع الطبل — راقداً وجواره طبله ملقى ... فلمحت وجهه فإذا به « روبرت » .

ولم أكن فى حاجة إلى وصف ذلك الرجل الجريح ولا إلى البرودة التى سرت إلى جبينه ... لكى أعرف أن ليس ثمت من أمل فى حياته — ناديته باسمه ؛ ففتح عينيه وعرفنى ... وقال فى صوت هامس فيه ضعف يسرى «إنى لمسرور بلقائك .. ولكن أحسب أن القضاء حم ولا مفر من الحمام » ، فلم أجد فى نفسى القدرة على أن أكذبه القول ، ولا القدرة على أن أخبره بالحقيقة ، فأمسكت بيده وضغطت عليها فى رفق ولطف أحثه على التجلد ، وتابع حديثه فى صوت أوهن وأضعف .

« ... ولكنك سترى والدى ، فاسأله أن يغفرلى ، ويصفح عنى ، وقد يلام كل إنسان سواى ، لقد تقضى وقت طويل قبل أن أدرك علة إرسال هذا الطبل لى كهدية فى عيد الميلاد ! وكذلك علة هذا النداء الذى ظل ينبعث من دقاته يدعونى ويدعونى ... وأخيراً عرفت ما كانت تدعونى إليه ، وإنى لراض بما فعلت ، فبهذا تحدثنى نفسى : خبّر والدى أن هذا أفضل من لبثى معه ، أنغص عليه عيشه ، وأكدر عليه صفو حياته ، لما يعترينى من شذوذ واضطراب ومرض »

وتوقف حديثه هنيهة ، ثم إذا به يمسك يدى ويقول : « انصت ! » ... فأصخت السمع ، ولكن لم يطرق أذنى سوى أنات الجرحى وزحير المرضى ، فقال فى صوت خافت : « الطبل ! ألا تسمعه ؟ إنه يدعونى » ، ومد راحته إلى حيث ألقى طبله كأنه يود لو عانقه ، وعاد يقول : « انصت ! أفلا تسمع دقات الطبل وهى تنبعث فى رهبة وجلال ؟ ! ها هى الصفوف تنتظم ... أفلا ترى الحراب والأسنة وهى تتألق تحت شعاع الشمس ؟ ! إن وجوههم مشرقة طلقة يعلوها البشر والرضا . . مه ! ها هو القائد إنه ينظر إلى وعلى ثغره بسمة الرضا والبر ! » وانطبقت شفتاه ، وارتخت أهدابه على عينيه ، وسكن سكنته الأبدية ! !

(طنطا) مصطفى جميل مرسى

بادر باقتناء نسختك من كتاب :

دفاع عن البلاغة

للأستاذ

احمد حسن الزيات

وقد زيدت عليه فصول لم تنشر

يطلب من إدارة الرسالة ومن المكاتب الشهيرة

وثمنه ١٥ قرشاً

الجلد الثانى من :

وحى الرسالة

بقلم

أحمد حسن الزيات

وهو مجموعة متنوعة من أدب الاجتماع والنقد والحب والسياسة

يطلب من إدارة الرسالة ومن سائر المكاتب الشهيرة

وثمنه أربعون قرشاً صاغاً عدا أجرة البريد

سكك حديد الحكومة المصرية

جداول مواعيد القطارات لفصل الصيف سنة ١٩٤٦

لقد شرعت المصلحة فى الاستعداد لإصدار طبعة الصيف المقبلة من جداول مواعيد القطارات المتداولة بين آلاف الجماهير و إعتباراً من أول مايو سنه ١٩٤٦ .

وفضلا عن أهمية الإعلان فى الجداول المذكورة فإن المصلحة تتقاضى مقابل النشر فيها أجراً زهيداً فالصفحة الكاملة جنيهات ونصف الصفحة بأربعة جنيهات .

فاغتنموا الفرصة وسارعوا من الآن إلى حجز ما يروقكم من صفحات هذه الجداول نظراً إلى أن الإقبال على الإعلان فيها شد ولزيادة الاستعلام اتصلوا . —

بقسم النشر والإعلانات — بالإدارة العامة — بمحطة مصر .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين